النظريات اللغوية و النفسية فى تعليم اللغة العربيـة :

النظرية السلوكية و النظرية البنيوية

Ahmad Muzammil
Email: ahmadmuzammil@gmail.com
Universitas Islam Zainul Hasan Genggong

تلخيص

أن اللغة مجموعة من الرموز الصوتية التى يحكمها نظام معين والتى يتعارف أفراد مجتمع فى ثقافة معينة على دلالاتها, من أجل تحقيق الإتصال بين بعضهم وبعض. وفى مجال التعلم والتعليم ينبغى أن تكون النظرية قابلة للتطبيق، وأن تصاغ بأسلوب مفهوم وجامع، يربط بين الحقائق والقوانين التى توصل إليها الباحث. كما ينبغى أن تفتح النظرية آفاقا جديدة، وأن تكون مشجعة على الإكتشاف, مفتوحة للتطوير, حسب ما يرد من معلومات إضافية تقود إلى مزيد من البحث والتطوير والتطبيق. يولد الإنسان أو يتربي اثناء فى بيئة معينة بين والديه وذويه أو في أحضان القائمين على تربيته ويتلقى لغة هذه البيئة فيكتسبها. و يطلق اللغويون على هذه اللغة : اللغة الأم أو اللغة الأولى للطفل. و على الحقيقة، أجمع اللغويون فى اكتساب اللغة، ولكنهم يختلفون في تفسيرهم لعملية الإكتساب هذه, وتتعدد آراؤهم حولها. وكل رأي يستند إلى النظرية أو اتجاه نحو طبيعة اللغة من ناحية، واكتسابها وتعلمها وتعليمها من ناحية أخرى. والنظرية السلوكية إحدى نظريات التعلم التى ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين. بدأت هذه النظرية على يد العالم الروسي بافلوف Pavlov

(1849-1936م) , الذى كان يقيس مقدار ما يسيل من لعاب الكلب عند رؤيته الطعام. وفي نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وبداية القرن العشرين ظهر فى أوربا اتجاه لغوي عرف بالمدرسة الوصفية البنيوية Strukturalism أسسه اللغوي السويسري فرديناند دى سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913م) وتحدث عنه فى محاضراته التى نشر ها تلاميذه بعد وفاته عام 1916م, مجموعة فى كتاب تحت عنوان : Cours de Linguistique Generale محاضرات فى العلم اللغة العام. وقد أعثير هذا الكتاب أهم عمل بدأ تحديد الأسس التى صدر عنها علم اللغة الحديث Modern Linguistics ثم ترجم الكتاب إلى عدة لغات منها العربية و الإنجليزية

الكليمات الأساسيات: اللغة, النفسية ,السلوكية والبنيوية

أ. **التمهيد**

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى أله وأصحابه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, أما بعد.

أن اللغة مجموعة من الرموز الصوتية التى يحكمها نظام معين والتى يتعارف أفراد مجتمع فى ثقافة معينة على دلالاتها, من أجل تحقيق الإتصال بين بعضهم وبعض.[1] وعندما افتتحت برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها فى أواخر القرن الهجري الماضى لجأكثير من القائمين عليها إلى منهاهج تعليم اللغات الأجنبية المعروفة فى بلاد الغرب للإستفادة منها, وبخاصة برامج تعليم اللغة الإنجليزية لغة ثانية أو أجنبية فى بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية, فنقلوها إلى اللغة العربية مباشرة, من غير عودة إلى التراث العربي الإسلامي, للبحث عن نظرية لغوية تطبقية, أو محاولة تطبيق منهج نظري تراثي على تعليم العربية لغة ثانية أو أجنبية.

لقد أصبح تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها فى عصرنا الحاضر تابعا لميدان واسع هو تعليم اللغات الأجنبية الذى يعد أبرز مجالات علم اللغة التطبيقي, أحد فرعي علم اللغة الحديث. وقد تأثر ميدان تعليم اللغة العربية بالنظريات و الإتجاهات اللغوية و النفسية الحديثة, التى بدأت تظهر فى بلاد الغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي, أي منذ ولادة علم اللغة الحديث. وهذه المقالة

[1] رشد أحمد طعيمة، *"تعليم العربية لغير الناطقين بها"* , (الرباط, منشورات المنظمة الأسلامية للتربية والعلوم والثقافة, 1989)،21

تعرض النظريات اللغوية و النفسية فى تعليم اللغة العربية من حيث النظرية السلوكية و النظرية البنيوية.

ب. النظريات اللغوية و النفسية

وفى مجال التعلم والتعليم ينبغى أن تكون النظرية قابلة للتطبيق، وأن تصاغ بأسلوب مفهوم وجامع، يربط بين الحقائق والقوانين التى توصل إليها الباحث. كما ينبغى أن تفتح النظرية آفاقا جديدة، وأن تكون مشجعة على الإكتشاف, مفتوحة للتطوير, حسب ما يرد من معلومات إضافية تقود إلى مزيد من البحث والتطوير والتطبيق.[2]

يولد الإنسان أو يتربي اثناء فى بيئة معينة بين والديه وذويه أو في أحضان القائمين على تربيته ويتلقى لغة هذه البيئة فيكتسبها. و يطلق اللغويون على هذه اللغة : اللغة الأم أو اللغة الأولى للطفل, سواء أكانت هذه اللغة لغة والديه و قومه, الذين ينتسب إليهم عرقيا أو دينيا أو ثقافيا ام لم تكن كذلك. وأن علم اللغة النفسي نشأ نتيجه الالتقاء بين علم النفس وعلم اللغة, حين التقت بعض النظريات اللغوية بمثيلاتها من النظريات النفسية.

و على الحقيقة، أجمع اللغويون فى اكتساب اللغة، ولكنهم يختلفون في تفسيرهم لعملية الإكتساب هذه, وتتعدد آراؤهم حولها. وكل رأي يستند إلى النظرية أو اتجاه نحو طبيعة اللغة من ناحية، واكتسابها وتعلمها وتعليمها من ناحية أخرى. وإن أبرز النظريات اللغوية التي تعرضت لهذه القضية نظريتان, هما النظرية البنيوية

[2] عبد العزيز إبراهيم العصيلى، "طرائق تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى"، (الرياض,مكتبة الملك فهد الوطنية, 2002), 19

(Structural Theory) و النظرية التوليدية التحويلية. أما أبرز النظريات النفسية التي عالجت قضايا تعلم اللغة وتعليمها فنظريتان أيضا, هما : النظرية السلوكية (Behavioral Theory) , و النظرية المعرفية أو العقلانية.[3]

وعلم اللغة النفسي Psycholinguistics أوما يطلق عليه البعض تجوُّزا علم النفس اللغوي Psychology of Language فرع من فروع علم اللغة Linguistics لكنه يقع فى الجانب التطبيقى منه، أى فى مجال علم اللغة التطبيقي Applied Linguistics . وهو ثمرة الإلتقاء بين علم اللغة وعلم النفس، ذلك الإلتقاء الذي بدأ في الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل الخمسينيات الميلادية من القرن العشرين, عندما قام تعاون وثيق بين العلماء اللغة وعلماء النفس.

ت. النظرية السلوكية

النظرية السلوكية إحدى نظريات التعلم التى ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين. بدأت هذه النظرية على يد العالم الروسي بافلوف Pavlov (1849-1936م) , الذى كان يقيس مقدار ما يسيل من لعاب الكلب عند رؤيته الطعام. وقد استنتج بافلوف, بعد تكرار ئهذه العملية مرات عديدة, أن الطعام مثير , تعقبه استجابة آلية, هي سيل لعاب الكلب عند رؤيته الطعام.ثم حدث ان سال لعاب الكلب عندما رأى الخادم الذى كان يحضر له الطعام ولم يكن مع الخادم آنذاك طعام, اي أن الكلب قرن رؤية الخادم بوجود الطعام.

---

[3] _____ ، *"النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية"* ، (الرياض, مكتبة الملك فهد الوطنية, 1420)،12

أصبحت نتائج هذه التجارب فرعا من فروع المدرسة السلوكية, وعرفت فيما بعد بمدرسة التدريب أو الإشراط التقليدي Clasical Conditioning , كما اعتبرت أساسا لتجارب لاحقة, أجريت فى المعامل حول تعلم بعض أنواع الحيوان, حيث زعموا أن إجراء التجارب البسيطة على الحيوانات يمكنهم من ضبط الشروط التجريبية التعليمية, التى تتفق ومبادئ المدرسة السلوكية, مثل : المثير, و الإستجابة, و التعزيز, وشروط الدافعية, وشروط الممارسة وغيرها.

يعتبر علم النفس السلوكي أن اللغة كناية عن مجموعة عادات صوتية (حلقية) تكيّفها مثير البيئة، فلا تتعدى كونها بالتالي، شكلا من أشكال المثير فالإستجابة للمثير. فمتكلم اللغة يسمع جملة معينة أو يشعر بشعور معين فتحصل عنده استجابة كلامية دون أن ترتبط هذه الاستجابة بأي شكل من أشكال التفكير. فالإستجابة الكلامية مرتبط بالمثير ولا تتطلب تدخل الأفكار أو القواعد النحوية.[4]

ينطرون السلوكيون إلى اللغة على أنها عادة يسهل التحكم فيها والسيطرة عليها, وأنها جزء من السلوك الإنساني الذى تشكله البيئة المحيطة به وتتحكم فيه, وأن الإختلافات اللغوية بين الناس ليست وراثية بل نتيجة لاختلاف البيئات اللغوية. أي أن السلوكي يجب أن يهتم بدراسة العلاقات بين الحوادث البيئة (المثيرات) وأفعال الكائن الحي (الإستجابات)، وذلك بالبحث عن كيفية إحداث المثير تغيرات فى السلوك. فإن اكتساب اللغة يختلف عن اكتساب

[4] ميشا زكريا، *"مباعث فى النظرية الألنسبية وتعليم اللغة"* ، (بيروت, المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر والتوزيع, 1985), 144

المهارات الإنسانية الأخرى، التى تحتاج إلى التعلم والتدرب والمران.

ب. **النظرية البنيوية**

في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وبداية القرن العشرين ظهر فى أوربا اتجاه لغوي عرف بالمدرسة الوصفية البنيوية Strukturalism أسسه اللغوي السويسري فرديناند دى سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913م) وتحدث عنه فى محاضراته التى نشر ها تلاميذه بعد وفاته عام 1916م, مجموعة فى كتاب تحت عنوان : Cours de Linguistique Generale محاضرات فى العلم اللغة العام. وقد أعثير هذا الكتاب أهم عمل بدأ تحديد الأسس التى صدر عنها علم اللغة الحديث Modern Linguistics ثم ترجم الكتاب إلى عدة لغات منها العربية و الإنجليزية.

أوضح دي سوسير أن منهجه فى دراسة اللغة يقوم على أساس أن موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة فى ذاتها, ومن أجل ذاتها, يدرسها الباحث لغرض الدراسة نفسها, يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها.وأن الحديث هنا ليس حديثا مفصلاةعن تاريخ ديسوسير, والتى عرفت بها المدرسة الوصفية البنيوية التى أطلق عليها مدرسة جنيف Geneva School :

1. فرق دي سوسير فى حديثه عن موضوع هذا العلم, وهو اللغة وما يرتبط بها من الكلام الإنساني, بين مصطلاحات ثلاثة : هي : الكلام الفردي, الذى يصدر عن شخص معين, واللغة بمعناها العام, التى هي مجموع الكلام الفردي

والقواعد العامة للغة الإنسانية, واللغة المعينة. وقد اهتم دي سوسير بالمصطلح الثالث فقط, وهو اللغة المعينة, لأنه يمثل فى نظره, اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية عامة, تكون نظاما من القيم يمكن ملاحظته و تجريبه وتجريده, ورصد القوانين التى تحتويه.

2. أن اللغة نظام يتألف من مجموعة من العلامات اللغوية. و العلامة اللغوية The Linguistic Sign عبارة عن الصورة صوتية تسمى الدال, تتحد مع تصور ذهنى يسمى المدلول, والعلاقة بين الدال و المدلول علاقة رمزية تواضعية اعتباطية. وهذه العلامة فى نظر دي سوسير تشمل كل ما يمكن تمييزه كالأصوات والكلمات والعبارات والجمل.

3. أن النظام اللغوي يتألف من عناصر داخلية تتمثل فى النظام الداخلي للغة, و علاقات خارجية تتمثل فى دراسة العلاقات القائمة بين اللغة ومايؤثر فيها من عوامل خارجية, مثل علم النفس وعلم الحضارة وعلم الإجتماع وعلم التاريخ.

4. أن اللغة ينبغى أن تدرس فى مرحلة خاصة, فى بيئة زمانية ومكانية محددة, وهذا هو المنهج الوصفي الذى عبر عنه بمصطلح : Synchronic , وهو المنهج المقابل للمنهج التاريخي المقارن المعروف ب: Diachronic , الذى نادى دي سوسير بالإبتعاد عنه, مالم يبين على أساس من الدراسة الوصفية, أي مقارنة مرحلتين لغويتين, بعد وصف كل مرحلة وصفا علميا دقيقا. والدراسة الوصفية للغة هى : النطر فى علاقة كل عنصر من العناصر اللغوية الداخلية

بغيره من العناصر الأخرى المكونة للنطام اللغوي, لأن أى عنصر منها لاقيمة له دون العناصر الأخرى.

5. ضرورة استخدام وسائل المنهج العلمي فى التحليل اللغوي ووصف اللغة وبخاصة الرياضيات.

باختضار,إن النظرية البنيوية هي عبارة عن تنظيم يتألف من مجموعة وسائل التعبير الصوتية التى هي رموز تعبر بها اللغة عن مفاهيم معينة يتحسسها المتكلم.[5] إن البنيوية قامت على أساس أن اللغة عبارة عن نظام من العلاقات ترتبط فيما بينها بعلاقات عضوية من التوافق أو الإختلاف, تبدأ من الكلام إلى الجملة إلى الكلمة وحتى تنتهي إلى السمة المميزة لأصغر وحدة صوتية فى اللغة, مثل : الجهر, و الهمس, والشدة, وغيرها. أي أن البنيوية ركزت على الشكل الظاهر للغة, وعلى الجانب الشفهي منها بوجه خاص, على اعتبار أنه الأصل فى اللغة.

وقال ميشال زكريا,[6] من خلال هذا العرض الموجز لبعض مفاهيم النظرية البنيوية والإطرات المقترحة لدراسة اللغة على أساسها، نسجل الملاحظات التالية :

1. إن النظرية البنيانية قد بلغت فى الواقع حدود قدرتها الوصفية من خلال إطار الأنموذج الذى تتبناه. وقد بقيت قضايا ومشكلات لغوية عديدة دون أن تستطيع هذه النظرية معالجتها بصورة وافية.

---

[5] ميشال زكريا, *"مباحث فى النظرية...*, 57

[6] ميشال زكريا, مباحث فى النظرية..., 58-59

2. إن المنطلقات الفلسفية السلوكية قد أثير حوله العديد من الإنقادات مما يؤدى بنا إلى الشك بالمرتكزات العلمية للمنهج البنيانى.

3. إن النظرية البنيانية تدرس المستوى السطحى للكلام ولاتغوص فى المستويات العميقة للكلام ولا تحاول تفسير آلية التكلم عند الإنسان.

4. إن الإنسان لايستطيع أن يكتسب لغته أو أن يتعلم لغة ثانية, عن طريق استيعاب لائحة شاملة بكل جمل اللغة,استيعابا غيبيا من خلال الحفظ الذهنى كما تذهب إليه النظرية البنيانية.

ث. **الخلاصة**

و على الحقيقة، أجمع اللغويون فى اكتساب اللغة، ولكنهم يختلفون في تفسيرهم لعملية الإكتساب هذه, وتتعدد آراؤهم حولها. وكل رأي يستند إلى النظرية أو اتجاه نحو طبيعة اللغة من ناحية، واكتسابها وتعلمها وتعليمها من ناحية أخرى. و النظرية اللغوية قسمان: هما النظرية البنيوية(Structural Theory) و النظرية التوليدية التحويلية. وأما النظرية النفسية التي عالجت قضايا تعلم اللغة وتعليمها فنظريتان أيضا, هما : النظرية السلوكية (Behavioral Theory) , و النظرية المعرفية أو العقلانية. وعلم اللغة النفسي هو ثمرة الإلتقاء بين علم اللغة وعلم النفس.

أن النظرية السلوكية هي عبارة إلى اللغة على أنها عادة يسهل التحكم فيها والسيطرة عليها, وأنها جزء من السلوك الإنساني

الذى تشكله البيئة المحيطة به وتتحكم فيه. والنظرية البنيوية هي عبارة عن تنظيم يتألف من مجموعة وسائل التعبير الصوتية التى هي رموز تعبر بها اللغة عن مفاهيم معينة يتحسسها المتكلم.

قائمة المراجع

- رشد أحمد طعيمة، 1989، *"تعليم العربية لغير الناطقين بها"* ,الرباط, منشورات المنظمة الأسلامية للتربية والعلوم والثقافة
- عبد العزيز إبراهيم العصيلى، 2002، "طرائق تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى"، الرياض,مكتبة الملك فهد الوطنية
- _____، 1420، *"النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية"* ، الرياض, مكتبة الملك فهد الوطنية
- ميشا زكريا، 1985, *"مباعث فى النظرية الألنسبية وتعليم اللغة"* ،بيروت, المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر والتوزيع